ثم دخلت سنة عشر ومائتين

ذكر ظفر المأمون بابن عائشة

فيها ظفر المأمون بإبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعروف: بابن عائشة، ومحمد بن إبراهيم الإفريقي، ومالك بن شاهي، ومن كان معهم ممن كان يسعى في البيعة لإبراهيم بن المهدي، وكان الذي أطلعه عليهم وعلى صنيعهم عمران القطربلي، وكانوا اتعدوا أن يقطعوا الجسر إذا خرج الجند/ يتلقون نصر بن شبث، فنمَّ عليهم عمران، فأخذوا في صفر، ودخل نصر بن شبث بغداد، ولم يلقه أحد من الجند[1].

ج٥/٢٠٨/ط

فأخذ ابن عائشة، فأقيم على باب المأمون ثلاثة أيام في الشمس، ثم ضربه بالسياط وحبسه، وضرب مالك بن شاهي وأصحابه، فكتبوا للمأمون بأسماء من دخل معهم في هذا الأمر من سائر الناس، فلم يعرض لهم المأمون، وقال: لا آمن أن يكون هؤلاء قذفوا قوماً برءاء، ثم إنه قتل ابن عائشة، وابن شاهي ورجلين من أصحابهما، وكان سبب قتلهم: أن المأمون بلغه أنهم يريدون أن ينقبوا السجن، وكانوا قبل ذلك بيوم قد سدوا باب السجن، فلم يدعوا أحداً يدخل عليهم، فلما بلغ المأمون خبرهم ركب إليهم بنفسه، فأخذهم فقتلهم صبراً، وصلب ابن عائشة، وهو أول عباسي صلب في الإسلام، ثم أنزل وكفن وصلي عليه، ودفن في مقابر قريش[2].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٠٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧٠٤)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٠٨)، وذكر أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٨)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٥٩).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٠٢)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٣٥، ٣٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٠، ٢١١)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٢٠١ ـ ٢١٠ هـ) (٢٩).

ذكر الظفر بإبراهيم بن المهدي

وفي هذه السنة في ربيع الأول أخذ إبراهيم بن المهدي وهو متنقب مع امرأتين، وهو في زي امرأة، أخذه حارس أسود ليلاً، فقال: من أين أنتن، وأين تردن هذا الوقت؟ فأعطاه إبراهيم خاتم ياقوت كان في يده له قدر عظيم ليخليهن ولا يسألهن، فلما نظر الحارس إلى الخاتم استرابهن، وقال: خاتم رجل له شأن، ورفعهن إلى صاحب المسلحة، فأمرهن أن يسفرن، فامتنع إبراهيم فجذبه، فبدت لحيته، فدفعه إلى صاحب الجسر، فعرفه، فذهب به إلى باب المأمون وأعلمه به، فأمر بالاحتفاظ به إلى بكرة.

فلما كان الغد أقعد إبراهيم في دار المأمون والمقنعة التي تقنع بها في عنقه، والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم والناس، ويعلموا كيف أخذ، ثم حوله إلى أحمد بن أبي خالد، فحبسه عنده، ثم أخرجه معه لما سار في الصلح إلى الحسن بن سهل، فشفع فيه الحسن[(١)].

وقيل: ابنته بوران، وقيل: إن إبراهيم لما أخذ حمل إلى دار أبي إسحاق المعتصم ـ وكان المعتصم عند المأمون ـ فحمل رديفاً لفرح التركي، فلما دخل على المأمون قال له: هيه يا إبراهيم! فقال: يا أمير المؤمنين! ولي الثأر محكم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشقاء، أمكن عادية الدهر من نفسه، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن تعاقب فبحقك، وإن تعف فبفضلك، قال: بل أعفو يا إبراهيم، فكبَّر وسجد، وقيل: بل كتب إبراهيم هذا الكلام إلى المأمون وهو متخفٍ، فوقَّع المأمون في حاشية رقعته: القدرة تذهب الحفيظة، والندم توبة، وبينهما عفو الله ﷻ وهو أكبر ما يسأله، فقال إبراهيم يمدح المأمون:

يا خَيْرَ مَنْ رَفَلَتْ يَمَانِيَةٌ بِهِ ... بَعْدَ النَّبِيِّ لآيِسٍ أَوْ طَائِعِ
وأبرَّ مَنْ عَبَدَ الإلٰهَ عَلى التُّقَى ... غَيْباً وأقولَهُ بِحَقٍّ صَادعِ
عسلَ الفَوارِعِ مَا أُطِعْتَ فإنْ تُهَجْ ... فالصَّابُ يُمزَجُ بالسِّمامِ النَّاقعِ
متَيقِّظاً حَذِراً وما تخشَى العِدَى ... نَبهانَ من وَسنانِ ليلِ الهَاجِعِ

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٠٣)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٥٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧٠٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٢)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٠٨)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٨).

مُلِئَتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ مَخَافَةً   وَتَبَيْتُ تَكْلؤهم بِقَلْبٍ خاشعِ[1]/ ج٥ ٢٠٩/ط
بِأَبِي وَأُمِّي فِدْيَةً وَأَبِيهِمَا   مِنْ كُلِّ مُعْضِلَةٍ وَذَنْبٍ وَاقِعِ
مَا أَلْيَنَ الكَنَفَ الذي بَوَّأْتَنِي   وَطَناً وَأَمْرعَ رَتْعَهُ لِلرَّاتِعِ
لِلصَّالحات أخاً جُعِلتَ وَلِلتُّقَى   وَأَباً رؤوفاً لِلْفَقِيرِ القَانِعِ
نَفْسِي فِداؤكَ إذْ تَضِلُّ مَعَاذِرِي   وَأَلُوذُ مِنْكَ بِفَضْلِ حِلْمٍ وَاسِعِ
أَمَلاً لِفَضْلِكَ والفَوَاضِلِ شِيمَةٌ   رَفَعَتْ بِنَاءَكَ لِلْمَحَلِّ اليَافِعِ
فَبَذلتَ أفضَلَ مَا يَضِيقُ بِبَذْلِهِ   وُسْعُ النُّفُوسِ من الفَعَالِ البَارِعِ
وَعَفَوْتَ عَمَّن لَّمْ يَكُنْ عَن مِثْلِهِ   عَفْوٌ وَلَمْ يَشْفَعْ إليك بِشَافِعِ
إلا العُلُوَّ عَنِ العُقُوبَةِ بَعْدَ مَا   ظَفِرَتْ يداك بِمُسْتَكِينٍ خَاضِعِ
فَرَحِمتَ أطْفَالاً كَأفْرَاخِ القَطَا   وَعَوِيلَ عَانِسَةٍ كَقَوْسِ النَّازِعِ
وَعَطَفْتَ آمرة عَلَيَّ كما وهى   بعد انهياضِ الوَثْيِ عظمُ الظَّالِعِ
اللهُ يَعْلَمُ ما أقولُ كَأنَّهَا   جَهْدُ الأَلِيَّةِ مِن حَنِيفٍ راكعِ
ما إنْ عَصَيْتُكَ والغُوَاةُ تَقُودُنِي   أَسْبَابُهَا إلا بِنِيَّةِ طَائِعِ
حتى إذا عَلِقَتْ حَبَائِلُ شِقْوَتِي   بِرَدًى إلى حُفَرِ المَهَالِكِ هَائِعِ
لم أدرِ إنَّ لِمِثْلِ جُرْمِي غَافِراً   فوقفت انظر أي حتفٍ صارعي
رَدَّ الحَيَاةَ عَلَيَّ بَعْدَ ذَهَابِهَا   وَرَعُ الإمَامِ القَادِرِ المُتَوَاضِعِ
أَحْيَاكَ مَنْ وَلاَّكَ أفْضَلَ مُدَّةٍ   ورَمَى عدوَّكَ في الوَتِينِ بِقَاطِعِ[2]
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ لَمْ تُحَدِّثْنِي بها   نَفْسِي إذَا آلَتْ إلى مَطَامِعِي
أَسْدَيْتَهَا عَفْواً إلَيَّ هَنِيئَةً   وَشَكَرْتُ مُصْطَنِعاً لأكْرَمِ صَانِعِ
إلاَّ يَسِيراً عِنْدَ مَا أَوْلَيْتَنِي   وَهُوَ الكَبِيرُ لَدَيَّ غَيرَ الضَّائِعِ
إنْ أنْتَ جُدْتَ بِهَا عَلَيَّ تَكُنْ لَهَا   أهلاً وَإنْ تَمْنَعْ فَأكْرَمُ مَانِعِ
إنَّ الَّذِي قَسَمَ الخِلافَةَ حَازَهَا   مِن صُلْبِ آدَمَ لِلإمَامِ السَّابعِ

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٠٤-٦٠٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٢)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٠/ ١٤٤، ١٤٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٠٤)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٠/ ١١٧).

جَمعَ القلوبَ عَليكَ جامعُ أمرِها وَحَوَى رِداؤُك كلَّ خيرِ جَامِعِ[١]

فذكر أن المأمون قال حين أنشده هذه القصيدة: أقول كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢].

ذكر بناء المأمون ببوران

وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران ابنة الحسن بن سهل في رمضان، وكان المأمون سار من بغداد إلى فم الصلح إلى معسكر الحسن بن سهل فنزله، وزفت إليه بوران، فلما دخل إليها المأمون كان عندها حمدونة بنت الرشيد، وأم جعفر زبيدة أم الأمين، وجدتها أم الفضل، والحسن بن سهل، فلما دخل نثرت عليه جدتها/ ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون، فأمر المأمون بجمعه، فجمع، فأعطاه بوران وقال: سلي حوائجك، فأمسكت، فقالت جدتها: سلي سيدك، فقد أمرك، فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي، فقال: قد فعلت، وسألته الإذن لأم جعفر في الحج، فأذن لها، وألبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية الأموية، وابتنى بها في ليلته، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون مناً.

ج٥/٢١٠/ط

وأقام المأمون عند الحسن سبعة عشر يوماً، يعد له كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه، وخلع الحسن على القواد على مراتبهم، وحملهم، ووصلهم، وكان مبلغ ما لزمه خمسين ألف ألف درهم، وكتب الحسن أسماء ضياعه في رقاع، ونثرها على القواد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها[٣].

ذكر مسير عبد الله بن طاهر إلى مصر

في هذه السنة سار عبد الله بن طاهر إلى مصر وافتتحها، واستأمن إليه عبد الله بن السري، وكان سبب مسيره: أن عبيد الله قد تغلب على مصر وخلع الطاعة، وخرج جمع

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٢)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٠٦)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٠/ ١٤٤، ١٤٥).

(٢) سورة: يوسف، الآية: ٩٢.

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦٠٧، ٦٠٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧٠٦)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٦)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٣٠) مختصراً، وذكره ابن أعثم في «الفتوح» (٨/ ٤٥٥)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٠٨)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٩)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٥٩).

من الأندلس فتغلبوا على الإسكندرية، واشتغل عبد الله بن طاهر عنهم بمحاربة نصر بن شبث، فلما فرغ منه سار نحو مصر، فلما قرب منها على مرحلة قدم قائداً من قواده إليها لينظر موضعاً يعسكر فيه، وكان ابن السري قد خندق على مصر خندقاً، فاتصل الخبر به من وصول القائد إلى ما قرب منه، فخرج إليه في أصحابه، فالتقى هو والقائد، فاقتتلوا قتالاً شديداً ـ وكان القائد في قلة ـ فجال أصحابه وسير بريداً إلى عبد الله بن طاهر بخبره، فحمل عبد الله الرجال على البغال، وجنبوا الخيل، وأسرعوا السير فلحقوا بالقائد، وهو يقاتل ابن السري.

فلما رأى ابن السري ذلك لم يصبر بين أيديهم، وانهزم عنهم وتساقط أكثر أصحابه في الخندق، فمن هلك منهم بسقوط بعضهم على بعض كان أكثر ممن قتله الجند بالسيف، ودخل ابن السري مصر، وأغلق الباب عليه وعلى أصحابه، وحاصره عبد الله، فلم يعد ابن السري يخرج إليه، وأنفذ إليه ألف وصيف ووصيفة، مع كل واحد منهم ألف دينار، فسيرهم ليلاً، فردهم ابن طاهر وكتب إليه: لو قبلت هديتك نهاراً لقبلتها ليلاً ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[1]، قال: فحينئذٍ طلب الأمان، وقيل: كان سنة إحدى عشرة[2].

وذكر أحمد بن حفص بن أبي الشماس قال: خرجنا مع عبد الله بن طاهر إلى مصر، حتى إذا كنا بين الرملة ودمشق إذ نحن بأعرابي قد اعترض فإذا شيخ على بعير له فسلم علينا، فرددنا عليه السلام، قال: وكنت أنا وإسحاق بن إبراهيم الرافقي، وإسحاق بن أبي ربعي، ونحن نساير الأمير، وكنا أفره منه دابة، وأجود كسوة قال: فجعل الأعرابي ينظر إلى وجوهنا، قال: فقلت: يا شيخ، قد ألححت في النظر، أعرفت شيئاً أنكرته؟ قال: لا والله، ما عرفتكم قبل يومي هذا، ولكني رجل حسن الفراسة في الناس، قال: فأشرت إلى إسحاق بن أبي ربعي وقلت: ما تقول في هذا؟ فقال:

أَرَى كَاتِباً ذَاهِي الكِتَابَةِ بَيِّنٌ ... عَلَيهِ وتَأْدِيبُ العِراقِ مُنِيرُ

لَهُ حَرَكَاتٌ قد يُشاهَدنَ أنَّهُ ... عَلِيمٌ بِتَقْسِيطِ الخَرَاجِ بَصِيرُ

ونظر إلى إسحاق بن إبراهيم الرافقي فقال/: ج٥/٢١١/ط

(١) سورة: النمل، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦١٠، ٦١١)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٧٠٦)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢/ ٤٦٠).

ومُـظـهِـرُ نُـسْـكٍ مَـا عَـلَـيهِ ضَـمـيـرُه ... يُحِـبُّ الـهَـدايَـا بـالـرِّجـالِ مَـكُـورُ
إخَـالُ بِـهِ جُـبْـنـاً وبُـخْـلاً وشـيَـمـةً ... تُخَـبِّـرُ عَـنْـهُ أَنَّـهُ لـوَزيـرُ

ثم نظر إليّ وقال:

وهـذَا نَـديـمٌ لـلأمـيـرِ ومُـؤنِـسٌ ... يـكُـونُ لَـهُ بـالـقُـرْبِ مِـنْـهُ سُـرُورُ
وَأَحْـسَـبُـه لـلـشِّـعـرِ والـعِـلْـمِ رَاوِيـاً ... فَـبَـعْـضُ نَـدِيـمٍ مـرَّةً وَسَـمِـيـرُ

ثم نظر إلى الأمير وقال:

وهَـذَا الأمـيـرُ المُرْتَجَى سَـيـبُ كـفِّـه ... فَـمـا انْ لَـهُ فـي الـعـالمِينَ نَـظِـيـرُ
عـلَيهِ رِداءٌ مـن جَمَـالٍ وَهَـيـبَـةٍ ... وَوَجـهٌ بـإدراكِ الـنَّـجَـاحِ بـشـيـر
لـقـد عـظُـم الإسـلام مـنـهُ بـذي يـد ... فَـقَـدْ عَـاشَ مَـعْـرُوفٌ ومَـاتَ نـكـيـرُ
ألا إنَّـمَـا عـبـدُ الإلٰـهِ ابـنُ طـاهـرٍ ... لـنَـا وَالِـدٌ بَـرٌّ بِـنَـا وأمـيـرُ

قال: فوقع ذلك من عبد الله أحسن موقع، وأعجبه، وأمر للشيخ بخمسمائة دينار وأمره أن يصحبه[(١)].

ذكر فتح عبد الله الإسكندرية

وفي هذه السنة أخرج عبد الله من كان تغلب على الإسكندرية من أهل الأندلس بأمان، وكانوا قد أقبلوا في مراكب من الأندلس في جمع، والناس في فتنة ابن السري وغيره، فأرسوا بالإسكندرية، ورئيسهم يدعى: أبا حفص، فلم يزالوا بها حتى قدم ابن طاهر، فأرسل يؤذنهم بالحرب إن هم لم يدخلوا في الطاعة، فأجابوه وسألوه الأمان على أن يرتحلوا عنها إلى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام، فأعطاهم الأمان على ذلك، فرحلوا ونزلوا بجزيرة أقريطش، واستوطنوها، وأقاموا بها، فأعقبوا وتناسلوا، قال يونس بن عبد الأعلى: أقبل إلينا فتى حدث من المشرق ـ يعني: ابن طاهر ـ والدنيا عندنا مفتونة قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب، والناس في بلاء، فأصلح الدنيا، وأمن البريء، وأخاف السقيم، واستوثقت له الرعية بالطاعة[(٢)].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦١١، ٦١٢).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦١٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٨) مختصراً.

ذكر خلع أهل قم

في هذه السنة خلع أهل قم المأمون، ومنعوا الخراج، فكان سببه: أن المأمون لما سار من خراسان إلى العراق أقام بالري عدة أيام، وأسقط عنهم شيئاً من خراجهم، فطمع أهل قم أن يصنع بهم كذلك، فكتبوا إليه يسألونه الحطيطة، وكان خراجهم ألفي ألف درهم، فلم يجبهم المأمون إلى ما سألوا، فامتنعوا من أدائه، فوجه المأمون إليهم علي بن هشام، وعجيف بن عنبسة، فحارباهم فظفرا بهم، وقتل يحيى بن عمران، وهدم سور المدينة، وجباها على سبعة آلاف ألف درهم وكانوا يتظلمون من ألفي ألف/[1]. ج٥/٢١٢/ط

ذكر ما كان بالأندلس من الحوادث

وفي هذه السنة سيَّر عبد الرحمٰن بن الحكم سرية كبيرة إلى بلاد الفرنج، واستعمل عليها عبيد الله المعروف: بابن البلنسي ـ فسار ودخل بلاد العدو، وتردد فيها بالغارات، والسبي، والقتل، والأسر، ولقي الجيوش الأعداء في ربيع الأول فاقتتلوا، فانهزم المشركون وكثر القتل فيهم، وكان فتحاً عظيماً.

وفيها افتتح عسكر سيره عبد الرحمٰن أيضاً حصن القلعة من أرض العدو، وتردد فيها بالغارات منتصف شهر رمضان، وفيها أمر عبد الرحمٰن ببناء المسجد الجامع بحيان، وفيها أخذ عبد الرحمٰن رهائن أبي الشماخ محمد بن إبراهيم مقدم اليمانية بتدمير، ليسكن الفتنة بين المضرية واليمانية، فلم ينزجروا، ودامت الفتنة، فلما رأى عبد الرحمٰن ذلك أمر العامل بتدمير أن ينقل منها، ويجعل مرسية منزلاً ينزله العمال، ففعل ذلك، وصارت مرسية هي قاعدة تلك البلاد من ذلك الوقت، ودامت الفتنة بينهم إلى سنة ثلاث عشرة ومائتين، فسير عبد الرحمٰن إليهم جيشاً، فأذعن أبو الشماخ وأطاع عبد الرحمٰن، وسار إليه وصار من جملة قواده وأصحابه، وانقطعت الفتنة من ناحية تدمير[2].

ذكر عدة حوادث

مات في هذه السنة: شهريار بن شروين ـ صاحب جبال طبرستان ـ وصار في موضعه ابنه سابور، فقاتله مازيار بن قارن، فأسره وقتله، وصارت الجبال في يد مازيار.

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦١٤)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٨).

(٢) ذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (٢/ ٨٢).

وحج بالناس في هذه السنة: صالح بن العباس بن محمد، وهو والي مكة[١].

الوفيات

وفيها توفيت: علية بنت المهدي مولدها سنة ستين ومائة، وكان زوجها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فولدت منه.

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٠/ ٢١٨)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٢/ ٢٢٨)، وذكره الطبري في «تاريخه» (٨/ ٦١٤)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٤/ ٤٠٥).